الباب الثالث

الفصل الأول

١- أهالي الرياض
والترحال
٢- الملك عبدالعزيز
ونشر السلفية

١- أهالي الرياض والترحال:

كان الحديث عن الجماميل ووظيفتها حيث كان بعضها يسمى الرحيلية، وهم من يقومون بالتجارة على الجمال بين الرياض والأحساء، أي أنهم حلقة اتصال بين الرياض والعالم الخارجي، ومن هنا يأتي دور المغامرين وأصحاب الطموحات ومن يرغب في الكشف عن العالم الآخر خارج بلدته أو الاتجار أو للعمل، ولكن هناك فئة من الناس خرجت لطلب العلم أو نشر العقيدة السلفية.

وهكذا أعطى الجمالون وظيفة أخرى لأهالي الرياض الذين يمتهنون الزراعة فقط عدا بعض الأشخاص المعدودين على الأصابع الذين يمتهنون مهناً يحتاجها المزارع أو الأهالي ولقلة السكان ترتب عليه قلة من يشتغل بالمهن، ولا تنس عدم وجود عُملة وإن وجدت فهي في حكم النادرة، ومن هنا بدأ بعض الناس بالخروج إلى البلدان الأخرى، وعلى الرغم من وجود الزراعة فإنه كانت تمر عليهم أزمنة قحط أو أن الإنتاج ليس بالكافي، وينتشر على أثره الجوع والأمراض ولهذا بدأ الانتقال خارج الرياض للبحث عن الرزق بسبب الحروب والفتن خاصة فترة الانقطاع بين العهد الأول والثاني وبين العهد الثاني والثالث لحكم آل سعود.

ومعروف أن أهالي الرياض وغيرهم من عموم أهل نجد لا

يسافرون إلا إلى الأحساء أو دول الخليج العربي أو الزبير في العراق أو الهند أو الجزر التي في البحر العربي أو المحيط الهندي، وإن كان قلة منهم تسافر إلى الشام وفلسطين ومصر.

ويختلف المرتحلون في اكتساب رزقهم، كل حسب قدرته أو طموحه، فبعضهم خرج للتجارة، وبعضهم خرج ليشتغل في الغوص وبعضهم خرج ليشتغل كعامل تحميل، وبعضهم سافر ليشتغل لدى دول الخليج في وظائف عسكرية خاصة عمان، وعلى العموم كان خروج الناس للعمل من الرياض قبل دخول الملك عبدالعزيز إليها عام ١٣١٩هـ، واستمر الخروج حتى الثلاثينيات، ثم بعد ذلك بدأ الاستقرار، ورجع كثير من الناس إلى الرياض، وبعضهم استقر في الأحساء أو الكويت أو البحرين أو الإمارات أو عمان وبعضهم استقر في الزبير، وكذلك هناك عائلات استقرت في الهند.

وانتقال الناس إلى الخارج للعمل أفرز نتائج إيجابية محلية من هذه النتائج ظهور التجار المحليين الذين يعدون مسوّقين لما يرسل من تجارة الخارج ومن هنا بدأ نمو التجار المحليين حيث يُعدّ عبدالعزيز بن حسن أول تاجر محلي في الرياض الذي يستقبل البضائع عن طريق عملاء له من خارج الرياض كذلك يتعاون مع الملك عبدالعزيز إذ كان يفوضه المغفور له الملك عبدالعزيز بشراء الأرزاق والسلاح.

أما عن الذين خرجوا من الرياض فهم:

١- عبدالله وفهد من أبناء مساعد السويلم ذهبا إلى البحرين للعمل في تجارة اللؤلؤ وذلك قبل عام ١٣٣٠هـ.

٢- عبدالله وعبدالرحمن من أبناء ناصر العبيكان خرجا إلى المنطقة الشرقية في مدينة الجبيل وعملا بتجارة اللؤلؤ ثم لحق بهما ابن عبدالرحمن محمد العبيكان وبدأ التجارة ببيع اللؤلؤ في الهند بواسطة البواخر الإنجليزية حيث يركبها التجار بواسطة قطع تذاكر كمسافرين، وكانوا يستخرجون اللؤلؤ من الخليج في فصل الصيف، أما فصل الشتاء فيستخرجونه من البحر العربي وخاصة من جزيرة (سوقطرة).

ولكن هناك تجارة أخرى كان يقوم بها عبدالله العبيكان الذي نزح من الرياض قبل فتح الملك عبدالعزيز لها حيث كان نزوحه أولاً إلى البحرين قبل المنطقة الشرقية واشتغل في تجارة السلاح مع ما فيها من خطورة خاصة من قبل الإنجليز الذين كانوا يستعمرون الإمارات وقطر والبحرين والكويت، ولكن لتجارتها الرابحة غامر في ذلك، وقام بشراء الأسلحة من مسقط التي كانت فيها وكالة للأسلحة البريطانية والفرنسية حيث كان الزواوي وكيلاً للسلاح فيها. وعمان هي المسموح فيها ببيع السلاح فقط، وحينما كان

التجار - ومن ضمنهم العبيكان - يشترونه ليبيعونه في قطر أو الكويت أو غيرها كثيرًا ما يعترضهم الإنجليز في الطريق إلى قطر والكويت ويصادرون الأسلحة منهم ويسجنونهم، ولخبرة عبدالله بن ناصر بالسلاح وتجارته التقى مع الملك عبدالعزيز في الكويت واتفق معه على شراء السلاح من عمان وحينما دخل الملك عبدالعزيز الرياض وصل السلاح إليه، وهي من نوع الصمعاء وهي نوعان صمعاء قصيرة ويقال لها (وكسل) أو طويلة ولها طلقة واحدة. وكذلك أحضر بعض قطع غيار السلاح الذي كان يحمله الملك عبدالعزيز من الكويت وهي من نوع الماطلي - ومبرد- وتم إصلاح بعض القطع التالفة.

٣- عبدالله بن عيسى كان يقوم بالتجارة بين الأحساء والبحرين وكان خروجه قبل عام ١٣٣٠هـ وكانت تجارته بالرز والتمر والأقمشة.

٤- فهد بن أحمد بن رشيد خرج إلى الأحساء وقام بتجارة التمر والرز والأقمشة.

٥- عبدالعزيز بن علي بن ريس - سافر إلى البحرين واشتغل في الغوص وتجارة اللؤلؤ.

٦- سليمان بن مقيرن - للغوص وتجارة اللؤلؤ.

٧- عبدالله بن محيا - للغوص وتجارة اللؤلؤ.

٨- عبدالعزيز بن عثمان يقوم بالتجارة بين عمان والكويت والزبير وكان من المتعاونين مع الملك عبدالعزيز.

٩- آل طالب - رحل منهم أناس كثيرون للبحرين للتجارة.

١٠- آل مزروع - رحل منهم أناس كثيرون للتجارة في دبي وعمان والبحرين.

١١- آل راشد - رحلوا إلى الأحساء للتجارة.

١٢- محمد بن سيف - رحل إلى الخليج للتجارة.

١٣- عبدالعزيز بن عتيق سافر للتجارة بالطيب من الهند والبحرين.

١٤- سعود بن سويلم سافر للتجارة في الهند لأدوات الزراعة كالفواريع والمساحي.

ومن الرجال الذين خرجوا للتجارة أيضًا هم:

١- سعد بن عبدالعزيز بن هزاع.

٢- عبدالعزيز القضيبي للغوص.

٣- عبدالرحمن بن بريكان للغوص.

٤- راشد الليبيفي للغوص.

٥- عبدالرحمن الليبيفي.

٦- ناصر محمد البيطار.

أما بعد استقرار الحكم في عهد الملك عبدالعزيز واستتباب

الأمن عاد كثير من هؤلاء ومنهم من استقر هناك سواء كان في الأحساء أو خارج المملكة، ومن الذين لم يعودوا إلى الرياض واستقروا خارجه هم:

١- آل مزروع - وهم موجودون الآن في الإمارات خاصة في دبي وفي عمان كذلك، وبعضهم استقر في الأحساء.

٢- آل راشد استقروا في الأحساء.

٣- عبدالعزيز بن عثمان استقر في الزبير.

٤- فهد بن مساعد بن سويلم استقر في البحرين.

وبملاحظتنا للعائلات التي ارتحلت عن الرياض للتجارة نرى أنه لا ترحل عائلة بكاملها، بل يظهر أن العائلة كبيرة ورحل جزء منها أو أن عدد أفراد العائلة الواحدة يزيدون عن خمسة أو ستة أشخاص فيرحل منهم جزء ويبقى الجزء الآخر للعمل في مزرعة العائلة نفسها خاصة إذا كان منهم كبير في السن وعموماً لا يرحل إلا الأشخاص الذين هم في سن الشباب ولم يرتبطوا بعائلة والقليل منهم من كان متزوجاً ولا يرحل إلا إذا اضطر اضطراراً شديداً.

ولكن ما هي نتائج ذلك الارتحال وانعكاسه على الرياض:

١- توافر المؤونة في الرياض.

٢- ازدياد السيولة في أيدي الناس.

٣- تنوع الملابس ووفرتها في أيدي الناس وعلى أثرها ظهر المطرزون وخياطو الملابس للنساء والرجال بسبب وجود سوق لهم ولا ننسى أن حرية التجارة لم تستمر في الرياض إلا بعد استقرار الحكم في عهد الملك عبدالعزيز وبداية ازدهار الرياض في عهده، أما قبل ذلك فكانت التجارة بين مناطق الخليج ويقوم بها من ارتحل عنها وإن كان هناك من يصل إلى الرياض فعلى نطاق ضيق بسبب انعدام الناحية الأمنية.

بقي شيء آخر من انعكاس ارتحال أهالي الرياض وغيرهم ممن ارتحل من مناطق نجد إلى الخليج أو الهند؟ حيث عكسوا الأخلاق الحميدة، علماً أن معظمهم من الشباب كانوا متمسكين بالعقيدة السلفية وكانوا يؤدون الصلاة هناك جماعة، ويقومون بالواجبات الدينية مما كان له الأثر في تلك المنطقة، على الرغم من انتشار الفساد آنذاك في تلك المناطق ناهيك عن المذاهب المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ولا ننسى مراكز التبشير المنتشرة هناك.

هذه الأخلاق الفريدة التي تتحلى بها هذه الفئة من الناس والتي انعكست على الشعوب الأخرى يجعلنا نتكلم عن جانب آخر ألا وهو نشر السلفية في تلك المناطق، علماً بأن نشر العقيدة لا يكون على أيدي التجار فقط ومن ذهب للعمل وإن كان لهم أثر من ناحية

السلوك بينهم. ولكن تغيير تلك المذاهب الهدامة يحتاج إلى أشخاص رحلوا أساسًا لنشر السلفية ومحاربة البدع ومن هنا نقول: إن لأهالي الرياض دورًا في نشر السلفية في تلك المناطق.

١- وأول من استفتح بالدعوة إلى الله ونشر العقيدة الصالحة امرأة فاضلة هي ابنة مجدد الدعوة فاطمة بنت محمد بن عبدالوهاب حيث ذهبت إلى عمان ونشرت السلفية وتسمى صاحبة الهجرتين حيث هاجرت إلى عمان أثناء الفوضى في الرياض عام ١٢٣٨هـ ورجعت بعد استقرار الحكم.

٢- حسن بن حسن آل الشيخ ذهب إلى جزيرة زعاب في عمان (في الساحل) ونشر السلفية هناك حيث كان سبب خروجه الحاجة مع الفتن التي كانت قبل عهد الملك عبدالعزيز.

٣- الشيخ محمد بن عبداللطيف سافر في عهد الملك عبدالعزيز إلى عمان وأيضًا إلى قطر حيث استقر عند الشيخ قاسم بن ثاني لتعليم أبنائه.

٤- الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ سافر إلى عمان لطلب الرزق ومع هذا نشر الدعوة السلفية.

٥- الشيخ عبدالله بن مرشد ذهب داعية إلى الخليج.

٦- الشيخ محمد بن محمود رحل للإمارات لنشر العقيدة السلفية.

٧- الشيخ ابن بشر حيث استقر في الأحساء مدة وعاد إلى الرياض.

٨- الشيخ ابن محمود الذي سافر إلى قطر واستقر هناك وكان له شأن وما زالت ذريته تتولى مناصب هناك.

وكان لهؤلاء العلماء أثر كبير في تلك المناطق حيث تأثر أهالي الإمارات وخاصة أهالي الشارقة مثل الشيخ علي بن محمود الذي صار منزله مأوى لطلبة العلم القادمين من الرياض وكذلك أهالي دبي، وفي عمان نرى قرى بأكملها تحولت إلى السلفية.

٢- الملك عبدالعزيز ونشر السلفية:

حينما تم الأمر في المملكة العربية السعودية للملك عبدالعزيز استتب الأمن وعم الرخاء البلاد وكان نتيجة حتمية للهجرة المعاكسة ممن خرجوا من الرياض وغيرها أن يعودوا إلى بلدهم بعد توافر عوامل الاستقرار ومن هنا انتظمت الرحلات التجارية وامتدت الطرق.

وكما حدث للتجار بعد الأمن والاستقرار من الرجوع رجع العلماء أيضًا إلى المملكة وعموماً كان خروجهم قبل عهد الملك عبدالعزيز، أما في عهده فلم يكن هناك هجرة للعلماء؛ وذلك لانتشار حلقات العلم في المساجد وتوافر وسائل العلم في بيوت

موقوفة لطالبي العلم أو مصروف عليهم أو تأمين الكتب وما إلى ذلك إضافة إلى الدور الكبير الذي سيقومون به في تعليم أبناء المملكة العقيدة الإسلامية الصحيحة.

وكانت تلك الحلقات مصدر إشعاع للمملكة العربية السعودية بأن يتخرج منها علماء للمناطق الأخرى سواء للتعليم أو القضاء والإفتاء أو لإمامة المساجد وكذلك كان الأثر خارج المملكة حيث كان الملك عبدالعزيز - رحمه الله - يرسل العلماء للدعوة وكذلك كانت مراسلته كمراسلات الأوائل في تبيين العقيدة الصحيحة وذلك أنه كان يرسل الرسائل للملوك والرؤساء لتذكيرهم، ومن يريد أن يبحث عن تلك الرسائل التي تثبت أن الملك عبدالعزيز كان زعيماً سياسيًا ودينيًا في نفس الوقت فليتصل بدارة الملك عبدالعزيز بالرياض والاطلاع على تلك الوثائق ليعلم أنه كان يريد الخير لأمته الإسلامية أجمع، يريد منهم نبذ البدع المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ويعطيهم الدليل الحسي الحي الموجود في المملكة عن دور العقيدة الإسلامية حينما اعتمدت عليها السياسة كانت المعجزات وما توحيد المملكة إلا معجزة القرن العشرين حيث ساندتها العقيدة السمحة.

ولا ننسى أن فتوحات الملك عبدالعزيز كان لها الدور الأكبر في نشر السلفية في داخل الجزيرة العربية وهذا ناتج من أسلوب

الفاتحين أنفسهم إما سلوكاً حسناً أو ما يرونه من معنويات وإخلاص في الجهاد أو ما يقوم به العلماء الذين يرسلهم الملك عبدالعزيز أثناء الغزو لتوضيح الدين السليم كذلك حينما يدخل رجال الملك عبدالعزيز البلاد المفتوحة معناه انسلاخ البدع والخرافات إذا كانت موجودة لديهم وإحلال السلفية محلها حيث كانت هناك مناطق فتحها الملك عبدالعزيز وكانت تزخر بالشرك كالتوسل بالصالحين وزيارة القبور وبناء الأضرحة عليها وتقديس الأسياد والإشراك بالله في الذبح والتلفظ والعبادة وغيرها من البدع التي تمس العقيدة الإسلامية بشيء كالمولد وغيره. والآن صارت تلك المناطق تشع بعلماء سلفيين انعكس أثرهم على أهالي المنطقة.